

البعد الوجودي في الأخلاق عند "عادل العوا"

" Adel Al-Awa"La Dimension existentielle de la morale Chez

د.لكحل فيصل

جامعة تيارت

ملخص المقال:

يعد عادل العوا من بين أهم المفكرين العرب المعاصرين الذين اهتموا بمبحث الأخلاق، يظهر هذا من خلال مؤلفاته المختلفة "القيمة الأخلاقية" و"العمدة في فلسفة القيم" و"الفلسفة الأخلاقية"...، إذ يدعو من خلالها إلى فكر أخلاقي جديد يسميه "الأخلاق المشخصة" التي تختلف في نظره عن النزعات الأخلاقية الكلاسيكية مثل المثالية والبراغماتية، والجديد في فكر عادل العوا هو قيمة البعد الوجودي للأخلاق من خلال الواقع الإنساني.

Adel Al-Awa est juste l'un des plus importants intellectuels arabes contemporains qui étaient intéressées de la d'Oman de éthique, montre ce à travers divers écrits «valeur morale» et «la mairie dans la philosophie des valeurs» et «philosophie morale» ... comme des appels par d'une nouvelle pensée morale qu'il appelle "éthique diagnostiqués», qui à différent des tendances morales telles que l'idéalisme classique et le pragmatisme, et dans

la nouvelle foire Adel Al-Awa pensent est la valeur de la dimension existentielle de la morale par la réalité humaine.

الكلمات المفتاحية للمقال:

الأخلاق الكلاسيكية، الوجودية، المثالية الأفلاطونية، المثالية الكانطية، العالم الإسلامي، الفكر المعاصر الأخلاق العملية.

la morale classique. Existentialisme. Idéalisme platonicien. idéalisme

L'éthique pratique. pensée contemporaine. kantien. monde

musulman .

مقدمة

يعد مبحث الأخلاق من بين أكثر المباحث الفلسفية إثارة للجدل في مسار الفكر العربي المعاصر، هذا لأننا إذا قارنا حال الدراسات الأخلاقية في ثقافتنا العربية المعاصرة بما توصلت إليه الدراسات الغربية، نجد أن مبحث الأخلاق لم يحض بالاهتمام الكافي من طرف مفكرينا العرب المعاصرين، فهو يكاد أن يكون أقل التخصصات الفلسفية اهتماما وتوجها، وهذا في نظرهم على خلفية أن المشكلة التي تواجه العالم العربي الإسلامي هي مشكلة تنمية وتقدم حضاري أكثر منها مشكلة أخلاق وثقافة، لأن هذه الأخيرة -أي الأخلاق و الثقافة - متوفرة سواء في ما تقرأه التعاليم الثقافية الدينية أو في ما تدعوا إليه القيم والعادات الأخلاقية الاجتماعية، أما الشيء المفقود في نظرهم فهو الجانب الإنجازي المتحقق في الواقع الحضاري ، وهنا تطرح المفارقة التي ينشطر فيها البعد الثقافي عن البعد الحضاري، مما يفضي بنا إلى اعتبار هذا الانشطار من بين أهم الأسباب الوجيهة التي أعفت مبحث الأخلاق من احتلال مكان الصدارة في اهتمامات الفكر العربي المعاصر ، إذ تبين لبعض الدارسين أن هذا الفكر عاجز عن الإبداع والتجديد الفلسفي، خاصة في مجال الأخلاق، حيث اقتصر على الشروح والترجمات لما أثاره الفلاسفة والمفكرين في الغرب، بيد

أن هذا لم يمنع أبداً من وجود بعض المحاولات الفكرية الجادة التي حملت لواء إعادة النظر في المباحث الأخلاقية سواء من حيث إحياء التراث الأخلاقي العربي الإسلامي في ضوء قرأت جديدة، أو من حيث فتح باب التساؤل حول قيمة الأخلاق ودورها وكيفية السبيل إلى اتخاذها منفذاً لمشاريع ودراسات فكرية في ضوء المقاربات التي أثارته التوجهات الأخلاقية الكبرى في الفلسفة الغربية . وأياً كان الأمر فقد شهد الفكر العربي المعاصر عدة إسهامات في مجال الأخلاق والقيم ، ولعل المفكر عادل العوا يعد من بين أكثر الدارسين المهتمين بمبحث الأخلاق إنتاجاً وترجمة وشرحاً ونقداً ...، وهذا من خلال جهوده التي بذلها في هذا المجال الذي كرس له حياته العلمية برمتها ، حيث يتبين لنا في ما أثارته مؤلفات عادل العوا من مثل القيمة الأخلاقية والعمدة في فلسفة القيم والفلسفة الأخلاقية ...، انه يرسى لنظرة جديدة في مجال الدراسات الأخلاقية اصطلاحاً عليها اسم "الأخلاق المشخصة" والتي سعى من خلالها إلى انتقاد جل الأبعاد، الصورية المثالية، الاجتماعية، البراغماتية ...، التي أسست لها المذاهب الأخلاقية الكلاسيكية، وفي مقابل هذا نجد البعد الوجودي كطرح جديد تنفتح فيه القيم الأخلاقية على طموحات الوجود الإنساني في مجالاته الحيوية والاجتماعية والتاريخية، لكن: ما هي المسوغات التي استطاع من خلالها عادل العوا أن يجعل من البعد الوجودي مطية لتأسيس طرح جديد في مجال الدراسات الأخلاقية " الأخلاق المشخصة"؟ وما هي الأفاق التي يكشف عنها هذا التأسيس كبداً لتبرر أحقية البعد الوجودي عن غيره من الأبعاد الأخرى التي أرستها المذاهب الأخلاقية؟

يعد المفكر عادل العوا من بين اكبر الدارسين المهتمين بمبحث الأخلاق في الفكر العربي المعاصر وفي ما يخص حياته بإيجاز فقد ولد بدمشق عام 1921 م، وحصل على شهادة البكالوريا في الفلسفة عام 1938م سافر إلى فرنسا ودرس في السربون وحصل على الدكتوراه في الفلسفة عام 1945م، حيث تقلد بعدها عدة مناصب تعليمية وإدارية في سوريا

وغيرها، وله ما يتجاوز الثلاثين مؤلفا في مجال الدراسات الأخلاقية وترجم من المؤلفات الغربية ما يتجاوز الأربعين مؤلفا، توفي في 28 كانون الأول 2002م¹.

يحدد عادل العوا في بداية القسم الأول من مؤلفه "القيمة الأخلاقية" والمعنون بـ " تحديد القيمة الخلقية" الملامح العامة للأخلاق المشخصة التي تظهر في توجه الفكر الغربي المعاصر، فهي حسبته تستهدف دراسة الفاعلية البشرية للكشف عن القيم والمبادئ التي تحدد السلوك وتديره في الحياة النفسية والاجتماعية للإنسان²، أما في القسم الثاني من هذا المؤلف نفسه والمعنون "مفهوم القيمة" نجده يجسد الصورة الواضحة التي تكشف عن البعد الوجودي في الأخلاق المشخصة، وهذا بالضبط من خلال تعريفه للأخلاق بعامة، حيث يقول "إنها طراز من النظر إلى جهد الإنسان في الإعراب عن ذاته في العالم....، فالإنسان ما كاد يسيطر على ضرورات التجربة المباشرة حتى شعر بأمنية تدفعه إلى الرغبة في الاتساق بين وجوده ووجود الآخرين"³، فالأخلاق هي ميدان النشاط الوجودي الذي يشكل عمل الإنسان في العالم عن طريق وجوده الذي يثبت من خلاله ذاته في هذا العالم، وبالتالي تكون مهمة الأخلاق هي الكشف عن الجهد الذي تبذله الذات في سبيل التعبير عن كيانها وعن تحقيق هذا الكيان في الواقع الراهن⁴، وعادل العوا في هذا الصدد يأخذ تماما بتعريف "جورج جوسدروف" للأخلاق الذي قال عنها "إن الأخلاق طريقة معينة للنظر إلى وجوه التعبير عن الإنسان في العالم"⁵، وهنا بالضبط يتجلى البعد الوجودي للأخلاق المشخصة، فالوجود الفردي محكوم بنمط من القيم تبدوا في حالة تأليف لسلوكات مختلفة يطبعها الشخص الأخلاقي بطابعه الخاص⁶، فتغدوا الأخلاق تعبيراً عن الشخص وتتعين رسالة الأخلاق في فهم الأشكال المختلفة التي تحقق هذا التعبير⁷، إذ يتحدد مفهوم الشخص في هذا السياق باعتباره الفرد الذي تنسب له مسؤولية أفعاله الصادرة عنه نظرا لما يحمله من معاني الهوية الداخلية التي يعيها ويدركها، وهو يحيل إلى الوجود البشري دون غيره من الموجودات، فالشخص ليس حيوانا كما انه ليس موضوعا - شيء - لأنه يتوفر على هوية يستمدّها من

دوره كموجود أخلاقي هدفه خدمة الإنسانية في شخصها وشخص الآخرين⁸ فالبعد الوجودي للأخلاق " حسب ما يرى جورج جوسدروف" يقر بأولوية ضمير المتكلم ويدعو إلى تأسيس السلوك على الحرية الشخصية ، وليست الحرية هنا حقيقية جاهزة معدة من ذي قبل أو مجرد معطى من معطيات الحس بل هي كسب يحصل كل يوم دون أن يستحيل يوما إلى حصيلة ثابتة⁹، كما أن الشخص يأخذ قيمة خاصة عندما ينظر إليه كذات واعية وحررة ومسؤولة تعي ذاتها وقيمها الأخلاقية¹⁰، لأن القيمة هي " الوجود من حيث كونه مرغوبا فيه أو موضوع رغبة ممكنة، قوامها أن تكون موضوع تقدير إلى حد كبير أو صغير ا وان يرغب بها شخص أو جماعة من أشخاص معينين"¹¹، على هذا المنعطف تجد نظرة عادل العوا ركيزة لها في ما أقره "بول رزقير" من أن الأخلاق تعتمد بالأساس على التجربة الوجودية المشخصة التي تأخذ بالفاعل مؤسسا قيما¹²، إذ يبدوا أن القيمة الأخلاقية تبقى اختيار الإنسان وهو وحده الفاعل القادر على إخراجها إلى حيز الوجود الراهن، هذا ويرى الباحث " زكرياء إبراهيم " في مؤلفه "المشكلة الخلقية" أن النزعة الوجودية تنظر إلى المشكلة الخلقية باعتبارها مشكلة شخصية ،لأنها ".....أولا وبالذات مشكلة شخصية تتصف بالطابع التاريخي الدرامي الذي تتصف به أية خبرة أخرى معاشة ، ومهما يفعل فيلسوف الأخلاق التقليدية أو عالم الاجتماع الوضعي فإنه لن يستطيع أن يضع نفسه موضوع الشخص الذي يجد نفسه ملزما بان يفصل في مشكلة حياته"¹³.

من هنا فإن الميزة الفريدة للبعد الوجودي هي كونه يكشف عن القيم الأخلاقية كما هي حاضرة في الوجود الإنساني بمختلف أبعاده الانطولوجية التي يحتوي عليها، من بينها أن الأخلاق تتناول الإنسان من حيث أن له وحدة ذاتية ماثلة في نمائه الوجودي¹⁴، وهذه الوحدة تكمن في انخراط إنسان معين في ظروف عالم معين ووقت معين، وفي هذا يرى عادل العوا أن الأخلاق تبحث في الإنسان الراهن المشخص وتتنظر إليه على ضوء واقعه الصحيح نظرتها إلى كائن موجود يبذل كل جهده لتحقيق توازن بين إمكانات كثيرة تتجاذب وجوده¹⁵،

ولهذا بالضبط صار الاعتبار الإنساني يتدخل في كل ما نعرف وكل ما نصنع وكل ما نريد ونتمنى ، حيث صار الإنسان يعمل على أن تكون إنسانيته منطلقا وهدفا نظرا وعمل¹⁶ إن مقصود عادل العوا من ما سبق أن يبين بان الأخلاق المشخصة لا تظهر إلا في الوقائع الأخلاقية، أي في الآداب العامة والسلوكات التي تربط بين الأفراد ، أين تكشف الممارسة الواقعية عن القيمة الأخلاقية كما هي متجسدة في الطابع الوجودي الشخصي للأفراد الذين يحملونها¹⁷.

وهنا يأخذ عادل العوا بموقف "هارتمان N.HARTMANN" الذي يؤكد بان القيم هي إطارات التجربة الإنسانية للأشياء من حيث هي طيبة أو سيئة ، وقد أقام بذلك الأخلاق أو الاكسيولوجيا بوجه عام في نطاق مبحث الانطولوجيا مخالفا للاتجاه التقليدي للفلسفة ، لان كل شيء عنده خاضع للتقويم، كما أن القيم هي التي تحدد وتعين الوجود ولكن على نحو غير مباشر¹⁸.

لهذا يبدو أن التساؤل عن البعد المفهومي للأخلاق المشخصة. إنما يكشف لنا مبدئيا على أن مفهومها لا يتجاوز المجال الشخصي الواقعي للإنسان، بالمعنى الذي ترتبط فيه الأخلاق من حيث مبادئها وقيمها بالنشاط السلوكي العملي، بيد أن هذا المفهوم - للأخلاق- الذي يتجلى في فكر عادل العوا تأليفا وتقديما لترجمات وشروح، لا يمت بصلة مباشرة إلى الفلسفة الشخصية التي ظهر صداها في الفكر الغربي المعاصر مع "ايمانويل مونييه" أو في الفكر العربي المعاصر مع "محمد عزيز الحبابي"¹⁹، وإنما هو نزعة أخلاقية أو توجه أخلاقي يظهر في فكر عادل العوا من حيث سعيه إلى ربط مجال القيم الأخلاقية "الاكسيولوجيا" بالبعد الوجودي للإنسان الذي يظهر في ميدان العمل والسلوك²⁰.

ولكن هذا التوجه وإن كان لا يعكس بصفة مباشرة الفلسفة الشخصية، إلا أنه يلتقي معها بعض الشيء في منحى التوجه والاهتمام في ما يتعلق بمفاهيم الشخص والتشخص والحرية والقيم والكائن الموجود، وبصفة عامة في ما يخص رد الاعتبار للبعد الوجودي للإنسان

بوصفه شخصا متعينا في العالم مع الآخرين بالبحث عن قيم هذا الشخص لا في كينونته بل في تاريخانيته المتعينة.

لذا يتبين لنا أن نظرة عادل العوا تقترب إلى حد ما من النظرة التي يأخذ بها الفلاسفة الوجوديون أمثال "سورين بي كيركوكارد، مارتن هيدغر، وجون بول سارتر...²¹، إذ الأخلاق عند الوجوديين لا تتفصل بأي حال عن البعد الوجودي للإنسان ، فهي تخص مجال حيويته الواقعية ومجال إمكاناته ومشاريعه المختلفة التي يرتبط في إطارها بالعالم وباآخرين²²، وفي هذا يقترب مبحث الاكسيولوجيا بمبحث الانطولوجيا، "لأنه حسب ما يقول لويس لافيل "ثمة هوية بين الوجود وتبريره الخاص ومن ثم يستحيل الفصل بين الانطولوجيا والاكسيولوجيا"²³، بيد أن هذا لا يعني أن عادل العوا يأخذ تماما بمواقف الفلاسفة الوجوديين حول الأخلاق بل أن مواقفه تلتقي مع ما يدعون إليه في صعيد واحد وان كان على مستوى النتائج والنظرة النقدية اتجاه المذاهب الأخلاقية الفلسفية الكلاسيكية التي كرسست إلى إقامة أخلاق صورية "مجردة"، فالبعد الوجودي الذي تركز عليه الأخلاق المشخصة، إنما هو بالضبط الواقع الإنساني في جانبه الشخصي والخاص، كما اهتم به الفلاسفة الوجوديين ، وفي هذا تقارب إن في مستوى الموضوع المطروح وان في مستوى التوجه والاهتمام، وأيا كان فإن النظرة الوجودية تبقى الميزة الفريدة التي من خلالها يمكن معرفة طبيعة التوجه الأخلاقي في فكر عادل العوا

من هنا يقف البعد الوجودي الذي تكشف عنه الأخلاق المشخصة كمقابل بالضد للمفاهيم الأخلاقية الكلاسيكية التي أقام دعائمها "أفلاطون، أرسطو، كانط وهيغل...."، وخاصة تلك الأخلاق الصورية التي فصلت مجال الأخلاق عن الواقع المعاش للإنسان وأخذت تؤسس للقيم تأسيسا طوباويا لا يتماشى مع المتطلبات المتجددة التي تكشف عن تغير ظروف الإنسان وأحواله في ظل السلوكيات الفردية -الاجتماعية التي يعيشها، إذ حسب هذا لا يمكن الأخذ بالتصور المثالي الذي يتجاوز نطاق الواقع الموضوعي ويؤسس بالتالي

القيم تأسيسا ميتافيزيقيا متعاليا ، لأن الأخلاق التصورية "حسب عادل العوا " أخلاق غريبة عن الواقع بعيدة عن العصر خارجة عن نطاق الوجود²⁴.

وهذا هو بالضبط ما يبرر انتهاجه توجهها نقديا اتجاه المفاهيم الأخلاقية الكلاسيكية التي ينعتها بالصورية والميتافيزيقية ويعتبرها هشة في أسسها النظرية، حيث يقول "...وقد أخطاء سقراط وأفلاطون حين حسبا أن الفضيلة علم، ومن المشاهد أن في وسع الإنسان أن يعلم الخير ويفعل الشر ، فيكون شريرا طالما بإرادته أي مسؤولا شريرا"²⁵، ومن مثال ذلك أيضا أن أفلاطون رأى بان هدف الأخلاق هو تحديد الخير الاسمي أو الخير المطلق وهو أحد المثل المفارقة التي تحتوي على عالم من الحكمة والتأمل النظري، كما أن "ايمانويل كانط" في مذهبه الأخلاقي لم يراعي سوى الإطار القبلي السابق على التجربة ، معتبرا إياه الإطار الصحيح الذي يمثل صورة الواجب²⁶، وهذا في تفريقه بين العقل العملي الصحيح والعقل العملي المحض . ولهذا بالضبط يقول "عادل العوا " عن هذه التوجهات الأخلاقية أنها ".... تمثل الأخلاق الصر مدية الخالدة أكثر من تمثيلها أخلاق زمان معين أو بيئة معينة، وأن هذا التطلع إلى الكلية ليتجلى على أكمل وجه في صيغ الأمر القطعي لدى كانط، فيظهر الإنسان في هذا المذهب وقد سلخ عن الظروف والملابسات وانتزع من الوسط والزمان حتى بات ضربا من التجريد المغتزل يمكنه من الخضوع ببسر إلى قاسم مشترك"²⁷

ولهذا السبب نجد أن عادل العوا يقر بالنظرة نفسها التي يأخذ بها "لوفي بريل" في إنكاره للأخلاق النظرية الصورية المجردة (المثالية الكلاسيكية)، حيث يستند في إنكاره لها على ثلاثة أسباب هي أن:

"الأخلاق النظرية تنطوي على تناقض ناشئ من أنها خليط من أحكام تقريرية، لأنها نظرية وأحكام تقويمية لأنها معيارية.

- الأخلاق النظرية عديمة الفائدة، إذ أن فلاسفة الأخلاق ينتهون جميعا في مرحلة التطبيق إلى اتجاه واحد.

- الأخلاق النظرية تستند إلى مسلمات غير مقبولة مثل أن الطبيعة الإنسانية واحدة في كل زمان ومكان²⁸

من هنا يمكن أن نفسر طبيعة الأزمة التي أحدثتها الفلسفة الوجودية في الأخلاق النظرية التي أسستها الفلسفات الكلاسيكية الميتافيزيقية ، وخاصة منها الوجودية الملحدة مع "جون بول سارتر و مارتن هيدغر" ...، التي رأت بان الوضع الراهن للإنسان يلغي تماما التأسيس الطوباوي المثالي للقيم الإنسانية، إذ هو يتطلب اهتماما وجوديا بحالة الإنسان المستلبة والمغتربة في العالم، يقول عادل العوا "...ويتميز مذهبنا بإيضاح سبب الأزمة الراهنة في الأخلاق النظرية وفي رسم اتجاهاتها، الوجودية الملحدة وأخلاق الوضع الراهن اللذان يمثلان شكلين من أشكال النسبية الأخلاقية التي تحدث اليوم تأثيرا كبيرا"²⁹

إن ما يذهب إليه عادل العوا في هذا الصدد يقترب كثيرا من النزعة الوجودية التي تميز بها فكر "عبد الرحمان بدوي" في كتابه "الأخلاق النظرية"، حيث ميز بين الأخلاق النظرية والعملية³⁰، ووجه هذا الاقتراب إنما يحدده ميل كل منهما إلى الأخلاق العملية التي تبحث في السلوك الإنساني داخل الوجود العيني المشخص في مقابل الأخلاق النظرية التي تضع المبادئ والنظريات للسلوك الإنساني ، ولئن كان عبد الرحمان بدوي كما يرى البعض يتحفظ القول في إمكانية قيام أخلاق وجودية³¹، هذا لأنه لم يستطع العثور في التراث الفكري الفلسفي الإسلامي على ما يسعفه في تأسيسها، بالرغم من الاهتمامات الظاهرة في مؤلفاته حول مجال الأخلاق ، والحق أن هذه النتيجة نفسها يمكن أن تصدق على ما أثاره عادل العوا في هذا المجال ، لكن ما يبقى يميزه عن عبد الرحمان بدوي هو غزارة إنتاجه في مجال القيم الأخلاقية خاصة في إطار الطابع الشخصي الذي أضفاه على القيم المؤسسة للأخلاق الإنسانية التي تكتسي في نظره بعدا وجوديا.

إذ على خلفية هذا التأسيس يتجه عادل العوا وبتأثير من " ليفي بريل" إلى تقييم وانتقاد ما يسمى بـ "علم العادات الأخلاقية والاجتماعية"، حيث يرى أن هذا العلم لا يعد سوى

مرحلة أولى من مراحل البحث في الأخلاق³²، إذ الأخلاق الحقيقية إنما تتجلى سلوكا ظاهرا وواقعا لا تقيمه العادات والتقاليد بقدر ما يكشف عنه الواقع المشخص للإنسان، ومن هنا كانت القيم الأخلاقية إنما تنتج مباشرة عن هذا الواقع، أما العادات والتقاليد فإنما ترمز إلى مجال ما يجب أن يكون في ضوء ما كان سائدا، وبالتالي فهي تمارس نوعا من القصر والحجر على سلوك الإنسان الشخصي وتلغي فيه طابع الحرية والإبداع والتجديد، لهذا بالضبط يقول عادل العوا "فمن العبث أن نرفض الأخلاق المشخصة وننكر أثر الشخص الفاعل، الضمير الأول المتكلم، إن ذلك الرفض يكافئ إنكار الحرية الإنسانية كلها"³³، هذا بالضبط لان العادات الأخلاقية والاجتماعية تحاول أن تسكن الإنسان في نوع من العلاقات النمطية سواء بينه وبين ذاته أو في علاقته بالآخرين، بيد أن هذا لا يعني أن الطابع الشخصي في الأخلاق يلغي الطابع الاجتماعي، وإنما يعني أن السلوك الأخلاقي الوجودي للإنسان إنما يفعل انطلاقا من ما يثيره الشخص ويطمح إليه ويسعى إلى تحقيقه، ومن ثمة كان الطابع الاجتماعي مجرد حامل لهذه الإثارة وناتج عنها، ولعل العادات الاجتماعية لا تتمكن من سلوك الإنسان، مادام أن قيمه الأخلاقية إنما هي نتاج ذاتي ذي طابع شخصي يعبر عن إرادة وحرية تسبق كل أنواع العلاقات التي يمكن أن تفرض عليه من الخارج، ومن هنا فإن "الأخلاق العقلية والاجتماعية إنما تكشف دائما عن أخلاق مجردة تلزم الشخص بان يقف موقفا سلبيا صرفا"³⁴، فإذا كانت العلاقات الاجتماعية شرطا لوجود القيم الشخصية نفسها، فإن كل صورة من صور المجتمع تقسح الطريق أمام نوع من التهديدات لتلك القيم مما أدى إلى الاضطراب والتخبط في مقاييس القيمة ومستوياتها التي تحضى بالقبول³⁵، ولهذا بالضبط يكون هدف البعد الوجودي في الأخلاق المشخصة متضمن مواجهة مزدوجة للمذاهب الميتافيزيقية الكلاسيكية ولعلم العادات الاجتماعية، كونهما يشتركان معا في إقامة منظومة أخلاقية تدعي إقامة قيمة شاملة وكلية، وفي هذا عملت المذاهب الأخلاقية الكلاسيكية على استجلاء البعد الاجتماعي للأخلاق، فمثلا يرى "شليك"

في كتابه "مشكلات الأخلاق" أن الخلاق علم من حيث هو جهد لتحصيل المعرفة عن الصواب والخطاء وأن القيم وضروب الإلزام إذا كانت نسبية وفقا لرغبات الأشخاص، فهي موضوعية بمعنى أن البشر يؤثرون بعض الأشياء على غيرها³⁶، فالقيم الأخلاقية محكومة برأي المجتمع لأنه هو الذي ينشئ الأوامر الأخلاقية، وهذا ما رآته المدرسة الاجتماعية الفرنسية أيضا مع "أيميل دوركايم" التي انتقلت من ما هو أخلاقي إلى ما هو اجتماعي من خلال رد القاعدة الخلقية إلى قاعدة اجتماعية³⁷

ولكن على الضد من كل هذا نجد أن الميزة الخاصة التي يضيفها البعد الوجودي على القيم الأخلاقية تكمن بالضبط في انفتاح هذه القيم على المجالات الحيوية والتاريخية والاجتماعية، والمسافة التي يحتفظ بها هذا الانفتاح لا تعدوا أن تكون سوى مؤشر على دلالة الجانب الشخصي الذاتي وألويته في سلم القيم الإنسانية حيث تتدفق الذات الإنسانية وتنتفتح على عالم أنطولوجي حقيقي يبرر وجودها ويعطي له مكان الصدارة في سلم القيم، مادام أن القيمة الأخلاقية تكون في بدايتها ذات طابع شخصي ووجودي قبل أن تكتسي طابع الشمولية والعمومية، وبالتالي فإن مكان الصدارة إنما يكمن في السلوك الراهن المشخص،³⁸ للوجود الإنساني ولا تكون الشمولية والعمومية إلا نتيجة مترتبة عن ما يعتقد الشخص ويطمح إليه في وجوده مع الآخرين، وإن كان هذا الوجود لا ينفصل بأي حال من الأحوال عن التجليات الشخصية التي تبقى أثارها حاضرة في السلوك الاجتماعي والتاريخي والحيوي بين الأشخاص، "... بل أن الوجود المشخص يرتبط بحال النسخ والجمل العصبية ارتباطه باللحظة التاريخية والوضع الاجتماعي، فهو يهدف إلى أن تخرج الأخلاق من مجال الواجب إلى الحادث"³⁹. بمعنى أن الوجود الاجتماعي والتاريخي إنما يرتد في أصوله إلى الطابع الشخصي للأفراد، إذ على حسبه تتشكل شبكة العلاقات الاجتماعية بينهم وبه كذلك تتجلى صيرورة الأحداث التاريخية، ومثال ذلك أنه إذا أردنا أن نفهم مجتمعا ما فيكفي أن نقارب حالة السلوك الشخصي لبعض أفرادنا فنحكم على سيادة هذا السلوك أو ذاك

في وجودهم الاجتماعي، وإلى جانب هذا نجد أن الأحداث التاريخية الكبرى إنما تتمم جع إلى الشخصيات التي أثارتها، ويكفي أن نذكر أن الحربين العالميتين الأولى والثانية كننا نتيجة هيمنة طابع سلوكي شخصي، فمثلا نزعة السمو الشخصية العرقية عند أدولف هتلر كانت من بين الأسباب الجبهة في إثارة الحرب العالمية الثانية، وهذا إنما يدل على السيادة الوجودية للطابع الشخصي في السلوكات الأخلاقية .

إن الفهم الوجودي حسب ما سبق ينظر إلى المشكلة الخلقية كمشكلة شخصية تقوم على ضرورة الاختيار في الحاضر لأننا ملتزمون في صميم الحاضر، ولأن وجودنا نفسه يتشكل في غمار الواقع الشخصي، إذ "...عشنا يحاول أصحاب النزعة الاجتماعية أن يهيئوا بنا أن نأخذ أنفسنا بقواعد الجماعة وأن نعمل على مسايرة قيم المجتمع، فإننا لا نملك سوى أن نظل فريسة للعالم وأن نختار بين المعاني العديدة الممكنة للحدث الواقع ... ونحن حين نختار معنى الحدث فإننا نختار عالما ونختار أيضا أنفسنا"⁴⁰

من هنا فإن القيمة الأخلاقية القويمة والمشروعة هي تلك التي تدفع بالإنسان إلى الرغبة والطموح إلى الكمال في الوجود، باعتبار أن الوجود يشكل البعد الانطولوجي الذي به ومن خلاله يمكن فهم نمط الرغبات الذاتية في علاقتها بالآخر الذي يخرج الذات الإنسانية من داخلتها ويدفع بها إلى الاندماج في الوجود مع الآخرين، إذ من شأن هذا الوجود أن يكون الصورة المرئية الكاشفة عن الغايات الموضوعية التي بها تكتسي القيم عالما من السلوكات والعلاقات. ما هو جدير بالذكر في هذا الصدد هو أن المذهب النفعي قد اخذ كذلك بالبعد العملي في فهمه وتأسيسه للقيم الأخلاقية مع "جيريديه بينتام" و"جون ستوارت مل".....⁴¹ ،

بيدا أن هذه النظرة انتهت إلى تقديس البعد الذاتي والنفعي في نظرتها للوجود الإنساني ، ومن ثم لم تستطع أن تفهم البعد الشخصي للقيم ولا أن تؤسس نظرتها عليه، فقد تكون المتطلبات الأخلاقية للإنسان شخصية ذاتية، ولكن هذا لا يعني بالضرورة أنها نفعية، إذ تصور المنفعة قد يلغي الطابع الشخصي للقيم ذاته ، لان من طبيعة القيم أنها تطمح وتنشد

ما هو خارج عن المنفعة الذاتية الشخصية للإنسان، وبالتالي فإن البعد النفعي لا يعد سوى تجلي جزئي من التجليات الكلية للقيم الأخلاقية المشخصة في الوجود الإنساني.⁴²

إن الأخلاق ذات التوجه الميتافيزيقي الماهوي كما يصفها عادل العوا تقترب كثيرا من ما قصده "ماكس فيبر" في ما يسميه بـ "أخلاق الاعتقاد"، إذ هذا النمط من الأخلاق تسيطر عليه "الدوغما"، حيث يسلم صاحبها بوجود قيمة مطلقة لما يؤمن به ولما يسعى إلى فرضه على الآخرين لأنه يرى فيها غاية في ذاتها، فهي كما يقول ماكس فيبر "أخلاق الكل أو لاشيء"⁴³، لأنها لا تؤمن بمنطق التسوية، بل تسعى إلى فرض قيمها ومبادئها على الجميع بدون النظر إلى المعايير الموضوعية والشخصية التي قد تتناقض مع هذه المبادئ والمعتقدات. يتبين لنا في هذا الصدد بالذات أهمية المجال الشخصي للقيم والحرية الإنسانية، فالأخلاق لا يقتصر مجالها على ما يجب أن يكون فقط، وإنما هي تسعى إلى أن تبلغ ما هو كائن، بمعنى أنها لا تنفصل عن الوجود الإنساني، لأن غايتها في الأخير هي بلوغ هذا الوجود لا في كينونته المتعالية وإنما في تاريخانيته المتعينة.

من هنا يبدو أن الخط الناظم لمفهوم الأخلاق المشخصة التي يدعوا إليها عادل العوا في دراساته الأخلاقية شرحا وتأليفا وترجمة هو بالضبط البعد الوجودي كمعيار تتمرجع إليه طبيعة القيمة الأخلاقية، إذ تبين حسب ما سبق أن المعيار الذي يحتكم إليه الفعل الأخلاقي إنما هو الحالة الراهنة للوجود الإنساني في طابعه الشخصي والفريد، ولكن هذا المعيار لا يمكنه إلغاء العوامل الخارجة عن مجال الشخص والتي تؤثر فيه بشكل أو آخر، إذ القيمة الأخلاقية تتطلب معيارا مفتوحا تتشابه فيه مجموعة العلائق المختلفة التي يعقدها الشخص الفاعل مع محيطه الاجتماعي والثقافي و الإنساني، ومن ثم فإن القول بأحقية الوجود الإنساني الشخصي كتأسيس قيمي للفعل الأخلاقي أمر تقره الرغبة الإنسانية ذاتها في تطلعها إلى الكمال في الوجود وإلى الحرية، لأن أي أخلاق تهدف إلى القضاء على القيم الشخصية إنما تقضي في النهاية إلى هدم نفسها بنفسها.

لذا يبدو أن فلاسفة الأخلاق التقليديين حين يتكلمون عن القاعدة والقانون وواجبات الذات نحو نفسها وواجباتها نحو المجتمع فإنهم في الحقيقة يحجرون الأخلاق بضرب من التقنين أو التشريع الاجتماعي، بيد أن الأخلاق الفردية الشخصية لها الحق والحرية في تجاوز هذا الحجر الذي تمارسه الظروف والشروط الموضوعية والسبب في ذلك حسب ما يراه جسدروف هو أن المشكلة الخلقية تقلت بطبيعتها من كل تحديد خارجي أو من كل حتمية اجتماعية ، وهي تبقى قائمة على طبيعتها حتى وإن تفرض الطاعة القانون ومسايرة القطيع ومطابقة السلوك الخارجي لمعايير الحياة الجمعية⁴⁴، ولكن هذا لا ينبغي أن يحجب عنا أبداً أن الإنسان كائن منفعل مثل ما هو كائن فاعل، فإذا كان الشخص هو مرجع الفعل الأخلاقي فإن السمة المميزة للعلاقات الأخلاقية هي حتما الاختلاف والتعارض القيمي⁴⁵، وهذا نظرا لاختلاف وتعدد المرجعيات الشخصية التي يأخذ بها الأشخاص في سلوكياتهم وأفعالهم، وبالتالي فإن الأخلاق تحتاج إلى جانب هذا نظام من العلاقات يحكم بين الأنا والآخر ويحدد الحق من الواجب، وهذا إنما تضمنه الأوامر والتعاليم الأخلاقية، لأن الأخلاق أداة بالأساس من أجل هذا الهدف، إذ هي تفقد دورها ومكانتها الاجتماعية والإنسانية إذا ما تم إلغاء الأبعاد الأخرى المرتبطة بها - الاجتماعية، الثقافية، النفعية.

إذ مادام السلوك الخلقي للفرد سلوكا علنيا يتم في محيط اجتماعي ، فلا يمكن أن تبقى دلالة هذا السلوك دلالة شخصية بحتة، خصوصا وإن الفعل الذي يحققه الفرد سرعان ما ينفصل عن صاحبه لكي يصبح مسلكا عاما تتردد أصداءه لدى الآخرين، وحينما قال أرسطو "إن ذلك الذي يعجز عن الحياة في المجتمع أو الذي لا يشعر بالحاجة إلى مثل هذه الحياة، لأنه مكتف بذاته لا بد من أن يكون إما وحشا أو إلها"، فإنه كان يعني بهذه العبارة أن حياة الجماعة هي بمثابة المناخ الملائم لنمو الحياة الأخلاقية للفرد "الشخص"⁴⁶، كما أنه ليس هناك في الحياة الخلقية وجود شخصي مغلق على ذاته أو شعور ذاتي منعزل تماما عن كل شعور آخر، بل هناك تداخل أولي بين الذات والآخرين أو بين قطب الأنا وقطب

الغير، وحسبنا أن نرجع إلى معترك الحياة الخلقية العينية لكي نتحقق من وجود اندماج حقيقي بين هذين القطبين⁴⁷

من هنا فإن البعد الوجودي الذي يركز على الحالة الراهنة والمشخصة للسلوك والفعل الإنساني يبقى دائما مشروط بقيم إنسانية عليا إلى جانب القيم الشخصية التي يحملها الإنسان ويعتقد بها، فالإنسان كائن الأبعاد النفسية، الاجتماعية، الوجودية، النفعية، الإنسانية...، ولا يمكن أن نسقط أحد هذه الأبعاد في فهمنا لطبيعة القيم الأخلاقية التي تحكم أفعاله وسلوكه⁴⁸

خاتمة

يمكن القول في خاتمة هذا المقال أن طبيعة التوجه الأخلاقي في فكر عادل العوا قد اخذ بعدا وجوديا يركز بالأساس على الحالة الشخصية التي يوجد عليها الإنسان في العالم، هذا بعد أن اتضح له هشاشة البناءات الميتافيزيقية الكلاسيكية التي ربطت الأخلاق بأبعاد طوبوية مثالية لا ترى سعادة وخيرية الإنسان إلا في تطلعه إلى ما وراء هذا العالم ، ومن مثل هذه البناءات ما خلصت إليه "مثالية أفلاطون والنظرة المتعالية عند كانط والفلسفة الهيجلية وعلم العادات الأخلاقية"، بل وحتى بعض التوجهات الفكرية/ الأخلاقية في الفكر العربي المعاصر كما أثارها "توفيق الطويل واحمد السيد وناجي التكريتي ومنصور فهمي ..."، وغيرهم كثير، إذ على خلاف كل هذه التوجهات الأخلاقية يجد عادل العوا بديلا انطولوجيا جديدا يتخلص من الدوغماتية التي تتبناها الأنساق المغلقة من خلال مقارنة الحالة الوجودية للإنسان المعاصر الذي أصبح لا يؤمن إلا بالقيم الشخصية والمعايير الوجودية التي يسعى إلى تحقيقها.

إذ تبين لعادل العوا من خلال ما أثاره بول رزقيير ويوسف كومبيز وليفى بريل أن القيمة الأخلاقية تنفصل عن الغايات الماورائية وعن العادات والتقاليد الاجتماعية الموروثة،

وترتبط اشد الارتباط بالحالة الوجودية المشخصة في السلوك الإنساني، ومن ثم كانت جميع العلاقات الإنسانية إنما تقام على خلفية القيم الشخصية التي يبيها الشخص الفاعل أو مجموعة الأشخاص الفاعلين في الوجود الاجتماعي الثقافي والحضاري للإنسان، ويمكن القول باختصار أن محاولة عادل العوا في مجال الدراسات الأخلاقية محاولة تقارب بين النظر والعمل، إذ تسعى لإزالة التقاطب المائل بين الأخلاق النظرية والأخلاق العملية التي أسسها الفلاسفة، لتنتهي إلى الأخذ بالأخلاق المشخصة التي تخص السلوك أو الفاعلية الواقعية للأفراد، وفي ما يلي أهم النتائج التي يمكن أن نخلص إليها من خلال دراستنا هذه:

- إن من شأن البعد الوجودي الذي يؤكد على أهميته عادل العوا في دراساته الأخلاقية، أن يقف على ذات الإنسان في طابعها الانفعالي حيث تتجلى إرادته وحرية وقدرته على فهم ذاته والآخرين، فهما تتحقق فيه المعتقدات الشخصية والعلاقات البيئانية في انفتاح القيم الأخلاقية على عوالم جديدة يحقق فيها الإنسان رغباته الحيوية وكيانه التاريخي والاجتماعي والثقافي .

- إن البعد الوجودي الذي تتميز به الأخلاق المشخصة لا يعدوا أن يتجاوز مجال الحادث الإنساني المشخص في مجموعة الأفعال والعلاقات التي تربط بين الأنا والآخر .

- يتبين لنا أن إلغاء البعد الشخصي في مجال القيمة الأخلاقية الإنسانية يعد رفضاً لحرية الإنسان وإنكاراً لقدراته وطموحاته الذاتية في الخلق والإبداع.

- إن ما يمكن أن يفهم من دلالة البعد الوجودي في الأخلاق المشخصة التي نادى بها عادل العوا، هو تلك الدعوة للانفتاح على الواقع والآخرين من خلال علاقة جدلية أساسها التأثير والتأثير ومعياريها يكمن في السلوك الأخلاقي الذي يصدر عن كل شخص، لأن الشخص يكتسب قيمته الأخلاقية عندما يفتح على الواقع الذي ينتمي إليه في أبعاده الوجودية.

- يمكن القول حسب مقصود البعد الوجودي في الأخلاق المشخصة أن المذاهب الأخلاقية الكلاسيكية قد انتهت في مجال الدراسات الأخلاقية إلى أفاق مسدودة، تمثلت في العجز عن مساءلة طبيعة المفاهيم التي أنتجها خطابها الطوباوي من مثل، الخير الاسمي، الواجب من أجل الواجب، علم العادات الأخلاقية ...، وهذا هو بالضبط السبب الذي يلغي وجه الحاجة إليها، لأن الأخذ بها لا يساير التطورات العملية التي يمر بها الواقع الإنساني في مجال الفعل والسلوك .

- يتبين لنا حسب ما سبق أن مجال القيمة الأخلاقية يترتب على حسب طبيعة الفعل الأخلاقي الظاهر والمشخص في الواقع السلوكي العملي للإنسان، إذ ليست القيمة هي التي تحدد السلوك الأخلاقي بل أن السلوك الأخلاقي هو الذي يحدد القيمة، فهي ما نضيفه على الشخص الفاعل من خلال سلوكه الأخلاقي.

- يبدو أن الأخلاق صنفنا أساسا كعلم معياري لان هدفها تحديد ما ينبغي وما لا ينبغي في الحياة العملية، من أجل تطبيقه أو عدم تطبيقه في سلوكيات الإنسان، ومن ثم فإن هدفها النهائي إنما هو المجال العملي الذي يتجسد في الوجود من خلال السلوكات الإنسانية الراهنة.

من هنا فإن كل هذه النتائج مجتمعة معا إنما تؤكد لنا قيمة الطرح الذي قدمه عادل العوا في مجال الدراسات الأخلاقية، إذ انه حتى ولو لم يرق مشروعاً أخلاقياً منسجماً وذو طابع نسقي متكامل بحكم أن أبحاثه في مجال الدراسات الأخلاقية ذات أبعاد تحليلية نقدية أكثر منها تأسيسية تنظيرية، إلا أن محاولته هذه تكشف عن إرادة تجديدية يمكن عن طريقها استثمار الكثير من الجوانب الحيوية في حياتنا الأخلاقية، وفي هذا السياق نفسه يذهب أحد تلامذة عادل العوا أحمد السيد عزت إلى القول بأن مجهودات أستاذه وإن لم تقم مذهباً أخلاقياً كاملاً بكل ما تحمله هذه الكلمة من دلالة ومعنى، إلا أنه في نظره بذل جهوداً عظيمة لإقامة علم مستقل للأخلاق⁴⁹ والسؤال حول هل نجح في ذلك أم لا؟ يبقى مجالاً

مفتوحا لحكم المهتمين والدارسين، إذ يكفي أن عادل العوا سلط اهتمامه وتوجهه نحو ميدان القيم الأخلاقية ، وأضفى عليه من الشروح والترجمات والتعليقات ما عجز عنه غيره آنذاك، ومن هنا يمكن اعتبار عادل العوا مفكرا مجددا في ميدان الدراسات الأخلاقية، إن في مستوى النظرة أو التحليل أو الترجمة أو النقد.

هوامش المقال:

- 1- أحمد عبد الحليم عطية، "الأخلاق في الفكر العربي المعاصر-دراسة تحليلية للاتجاهات الأخلاقية الحالية في الوطن العربي" دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، (د-ط)، 1998ص105 .
-وكذلك، أحمد لسيد عزت، "هؤلاء أساتذتي"، منشورات دار الثقافة، دمشق سوريا، 1994، ص30 .
- 2- عادل العوا، "القيمة الأخلاقية"، مطبعة جامعة دمشق، سوريا (د-ط)، 1940، ص6، ص8 .
- 3- المصدر نفسه، ص3 .
- 4- أحمد عبد الحليم عطية، "الأخلاق في الفكر العربي المعاصر - دراسة تحليلية للاتجاهات الأخلاقية الحالية في الوطن العربي" مرجع سابق، ص108
- 5- المرجع نفسه، ص101
- 6- إن النصيب الأكبر من النظرية العامة للاكسيولوجيا إنما يدين بوجوده إلى الفلاسفة الكانطيين الجدد ف-بنكه- beneke- يقيم أخلاقه العملية كلها على مشاعر القيمة، ويعتقد - ريمون روبيه roubyer أن -لوتسه- lotze هو أول من استخدم لفظ- قيمة- وهو بالألمانية werte بالمعنى الفلسفي، وهو الذي يحدد ويشترط ما هو كائن- ،أما - لوتسه- فيعتقد أن -نيتشه Nietzsche- هو وحده الذي استطاع أن يتيح لمصطلح القيمة تصورا أسمى وأقصى للفلسفة، وقد احتلت القيمة عند- ريتشل RITCHL- - مركز الصدارة في مسائل الدين واللاهوت ، أما - فندلباند- فالفلسفة لديه هي علم القيم ذاته ،وهذا ما رآه كذلك- ريكتر- RICHKERT-، و- ومستربرج MANSTERG .للمزيد من الاطلاع حول هذه الفكرة يرجع إلى:
- أحمد عبد الحليم عطية، "القيم في الفكر الغربي المعاصر"، دار الثقافة العربية، -د-ط، 2008.ص44، ص45، ص46.
- صلاح قنصوه، "نظرية القيم في الفكر المعاصر"، ط2، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1984، ص20، ص21، ص22
- 7- المرجع نفسه، ص106.
- 8- يمكن في هذا الصدد التفريق بين معنى الشخص والشخصية ، فإذا كان الشخص معطى داخلي يتعرف فيه الإنسان على ذاته، فإن الشخصية هي مجموعة الصفات والميزات التي تحدد هذا الإنسان

وتميزه عن غيره، وبهذا الشكل فإن الشخصية موضوع اهتمام العلوم الإنسانية مثل علم النفس، أما الشخص فهو موضوع الاهتمام الفلسفي.

9- زكريا إبراهيم، "المشكلة الخلقية"، دار مصر للطباعة - دط، دس، ص 84.

10- في هذا الصدد بالذات نجد أن عادل العوا يحدد موضوع فلسفة القسم بقوله، الواقع القيمي واقع حضاري لازب والتفكير الفاهم لهذا الواقع هو موضوع فلسفة القيم، أنظر في هذا الصدد، - بول رزقيير - فلسفة القيم، مرجع سابق، ص.5

11- بول رزقيير، "فلسفة القيم"، ترجمة عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت لبنان ، ط1، 2001 ، ص6.

12- المرجع نفسه، ص.7

13- زكريا إبراهيم، "المشكلة الخلقية"، مرجع سابق، ص.82

14- يمكن التقريب هنا بين موقف عادل العوا الذي يدعوا من خلاله إلى تثبيت دعائم أخلاق إنسانية مشخصة ذات بعد وجودي وبين "الموقف الوضعي من الأخلاق"، كما يظهر عند أنصار الوضعية التقليدية والوضعية المنطقية، إذ هناك فرق بين النمط الوجودي والوضعي، فالوجودي إنما يهتم مباشرة بالحادث الإنساني كما هو ظاهر في الواقع سلوكا وعملا، أما الوضعي فهو يهدف إلى ترسيخ دعائم أخلاق علمية ذات أبعاد موضوعية خارجية تهتم بما هو كائن في مقابل ما يجب أن يكون ، وفي هذا يمكن أن يشترك كلا الطابعين في تجاوزهما الأسس الميتافيزيقية للأخلاق المثالية ، ولكن هذا مع العلم أن كلمة أخلاق لا تعني عند الوضعيين سوى أحد المعنيين التاليين:

-الأول، للإشارة إلى الناحيتين النفسية والاجتماعية في الأفعال الإنسانية، والأخلاق بهذا المعنى تخص العلوم التجريبية وهي مقبولة لذلك عند هؤلاء .

- الثاني، للدلالة على الأخلاق بمعناها المثالي، أو بمعنى فلسفة القيم والمعايير الخلقية، والأخلاق بهذا المعنى مرفوضة عند الوضعيين لأن العبارات الأخلاقية التي هي من هذا النمط فارغة من المعنى - حسب وجهة نظرهم- وهي ليست بقضايا وإنما أشباه قضايا لأنها لا تقول أي شيء ولا يمكن إثباتها أو نفيها ،- للمزيد من الاطلاع حول هذه الفكرة ، أنظر:

- عبد الباسط سيدا، "الوضعية المنطقية والتراث العربي- نموذج فكر زكي نجيب محمود الفلسفي" - تقديم الطيب التيزيني، دار الفارابي، بيروت لبنان، 1990، ص80، ص81.

15- عادل العوا، "القيمة الأخلاقية"، مصدر سابق، ص 14.

- 16- بول رزقير، "فلسفة القيم"، ترجمة -عادل العوا، مرجع سابق، ص.6
- 17- عادل العوا، "العمدة في فلسفة القيم"، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق سوريا، (د-ط) 1986، ص.12
- 18- صلاح قنصوه، "نظرية القيم في الفكر المعاصر"، مرجع سابق، ص.39
- 19- Mohamad aziz lahbabi « de letre a la personne essai de personnalisme realiste ». Iharmattan. paris.3 edition.1988.
- 20- هنا بالضبط تشترك معظم الأطروحات الوجودية والشخصانية في تأكيدهم أن الإنسان ليس شياء قابلا للتعريف، لأن ما يقبل التعريف هو الأشياء المادية، أما الإنسان فإنه يحضاً بكيان شخصي خاص وفريد فهو كائن يتجاوز كل قيمة ومصدر هذه الخصوصية في التناول إنما هو ردة فعل على ما انتهى إليه القرن العشرين ق20- من نتائج سياسية واقتصادية، أخضعت الوجود الإنساني بواسطة نظام من الحتمية والسيطرة.
- 21- يرى الفلاسفة الوجوديون في هذا الصدد أن مهمة الأخلاق هي العمل على إظهار كل شخص منا على حقيقة موقفه الخاص حتى يتسنى له أن يصبح مالكا لزام نفسه بحق في اختياره الشخصي الذي هو واجبه الخاص، انظر في هذا الصدد: زكريا إبراهيم، "المشكلة الخلقية"، مرجع سابق، ص.15.
- 22- يمكن الجوع في هذا الصدد إلى مصادر الفلاسفة الوجوديين التالية:
- edition ,Heidegger: « Etre et temps », trad.: François-vezin – Martin
gallimard, paris, .
- 1986.P226.
- .munier, abrier, paris, Heidegger: « Lettre sur l'humanisme », trad.: r – Martin
1964.P48.
- P76 .P90..J.P.SARTRE. « L'être et le néant » .paris. gallimard. 1943 –
- 23- صلاح قنصوه، "نظرية القيم في الفكر المعاصر"، مرجع سابق، ص.22، ص.23
- 24- احمد عبد الحليم عطية، "الأخلاق في الفكر العربي المعاصر - دراسة تحليلية للاتجاهات الأخلاقية الحالية في الوطن العربي" مرجع سابق، ص.107.
- 25- عادل العوا، "الأخلاق والحضارة"، منشورات جامعة دمشق سوريا، (د-ط) 1999، ص.134.

- 26- في هذا الصدد بالذات يسعى "عادل العوا" إلى انتقاد المفكرين الذين يدعون إلى إقامة علم للأخلاق مستقل عن الفلسفة على غرار علم النفس وعلم الاجتماع، أنظر، أحمد السيد عزت، هؤلاء أساتذتي، مرجع سابق، ص. 29
- 27- عادل العوا، "القيمة الأخلاقية"، مصدر سابق، ص. 15
- 28- مراد وهبة، "مستقبل الأخلاق"، منشورات دار الثقافة الجديدة، مصر القاهرة، ط1، 1994، ص72، ص. 73
- 29- عادل العوا، "الفلسفة الأخلاقية"، منشورات جامعة دمشق سوريا، 1999، ص. 271
- 30- عبد الرحمان بدوي، "الأخلاق النظرية"، وكالة المطبوعات، الكويت، 1978.
- 31- عبد الرحمان بدوي، "هل يمكن قيام أخلاق وجودية"، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1953، ص33 .
- 32- عادل العوا، "القيمة الأخلاقية"، مصدر سابق، ص. 27
- 33- يوسف كومبز، "القيمة والحرية"، ترجمة عادل العوا، دار الفكر دمشق سوريا، (د-ط)، 1975، ص. 4
- 34- أحمد عبد الحليم عطية، "الأخلاق في الفكر العربي المعاصر - دراسة تحليلية للاتجاهات الأخلاقية الحالية في الوطن العربي" مرجع سابق، ص. 107
- 35- صلاح قنصوه، "نظرية القيم في الفكر المعاصر"، مرجع سابق، ص11، ص 12.
- 36- المرجع نفسه، ص. 29
- 37- مراد وهبة، "مستقبل الأخلاق"، مرجع سابق، ص. 115
- 38- عادل العوا، "القيمة الأخلاقية"، مصدر سابق، ص15، ص. 16
- 39- أحمد عبد الحليم عطية، "الأخلاق في الفكر العربي المعاصر - دراسة تحليلية للاتجاهات الأخلاقية الحالية في الوطن العربي المعاصر"، مرجع سابق، ص. 107
- 40- زكرياء إبراهيم، "المشكلة الخلقية"، مرجع سابق، ص80.
- 41 - يمكن الاطلاع في هذا الصدد على:
- ريمون رويه، "فلسفة القيم"، ترجمة، عادل العوا، دمشق، مطبعة جامعة دمشق، د-ط، د-س، ص20، وما بعدها.

-جون ديوي، "أخلاقهم وأخلاقنا، وجهات النظر الماركسية والليبرالية في المثل الأخلاقية"، ترجمة، سمير عبده، دمشق، دار دمشق 1969، ص13، وما بعدها.

42- عادل العوا، "الأخلاق والحضارة"، مصدر سابق، ص140، ص145.

43- Max weber. « Economie et société ». librairie. plan. 1971.p170

44 - زكرياء إبراهيم، "المشكلة الخلقية"، مرجع سابق، ص84.

45- يتبين لنا في هذا الصدد انه على خلاف لما ذهب إليه "عادل العوا" نجد أن "ماكس فيبر" قد رأى من قبل أن الحل الضروري للخروج من الأزمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يعيشها العالم، هي انتهاج موقف الحياد اتجاه القيم الأخلاقية لتقادي الصراعات بين الأفراد التي تنتج حتما عن تعارض هذه القيم، وذلك بان لا نجعل من الاعتقادات الشخصية قيما مطلقة إذ الأخلاق الملائمة في نظر "ماكس فيبر" هي التي يمكن أن تستوعب التعدد وترضى بالوجود النسبي للقيم، وبمعنى آخر هي أخلاق المسؤولية، لأنها تقوم في نظره على التعايش والاعتراف بقيم الآخرين، إذ انشغالها الرئيسي هو البحث في شروط تبرر موقفها اتجاه الغير لتتال القبول أو الإجماع، في حين أن الأخلاق المشخصة الوجودية، إنما تأخذ بالفاعل الأخلاقي مؤسسا قيما ولذلك فإنها لا ترضى دائما بمنطق التسوية، ومن نتائجها أنها ليست محل قبول ورضا وإجماع من طرف الكل، وهذا في حقيقة الأمر ما يمكن مؤاخذه على نظره عادل العوا في مجال دراساته الأخلاقية، للمزيد من الاطلاع حول ما أثاره ماكس فيبر في هذا الصدد ينظر إلى:

- Max weber. « Economie et société ». librairie. plan. 1971.p170.p174

- Max weber. « Le savant et le politique ». trd.de julien Freund. Introduction
..de Raymond Aron. Librairie .plan. Paris.1959.p172.

46-زكرياء إبراهيم، "المشكلة الخلقية"، مرجع سابق، ص87.

47- المرجع نفسه، ص88.

48- يمكن القول في هذا الصدد أن الحالة التي تكون فيها الذات مع ذاتها قبل أن يحدث الفعل ويتحقق واقعا ناجزا، هي حالة مداولة ذاتية تتمثل في تلك المسافة التي تطرحها عن حقيقة وقيمة الفعل الذي تنوي القيام به، حيث تكون إزاء اختيار وتقييم وبعدها تقرر هذه الذات تأتي مرحلة خروج الفعل إلى مجال التطبيق والسؤال المطروح ، لماذا كل هذه المداولة التي تعقدها الذات مع نفسها قبل الشروع في الفعل؟ إن هذه المداولة تكشف عن المدة التي تستغرقها الذات في اختيار الفعل، أين تعاني الحيرة والتردد لأن

الفعل الذي سيتم اختياره سيستقل حتما عن الذات - الفاعل - ويقع بالتالي في محكمة الآخر الذي يحكم على الفعل بخير يته أو شره، للمزيد من الاطلاع يرجع إلى:

- L. LAVALLE. « Introduction a l'ontologie ». paris. P.u.f.1957.p60.

« Traite des valeurs ». Paris. p.u.f.1951.p100. - L. LAVALLE

49- أحمد السيد عزت، "هؤلاء أساتذتي"، مرجع سابق، ص 3 .

-قائمة المصادر والمراجع:

- 1- عادل العوا، "القيمة الأخلاقية"، مطبعة جامعة دمشق، سوريا (د-ط)، 1940.
- 2- عبد الرحمان بدوي، "الأخلاق النظرية"، وكالة المطبوعات، الكويت، 1978.
- 3- عبد الرحمان بدوي، "هل يمكن قيام أخلاق وجودية"، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1953.
- 4- يوسف كومبز، "القيمة والحرية"، ترجمة عادل العوا، دار الفكر، دمشق سوريا، (د-ط)، 1975 .
- 5- زكرياء إبراهيم، "المشكلة الخلقية"، دار مصر للطباعة، د-س، د-ط.
- 6- صلاح قنصوه، "نظرية القيم في الفكر المعاصر"، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط2، 1984.
- 7- أحمد عبد الحليم عطية، "القيم في الفكر الغربي المعاصر"، دار الثقافة العربية، د-ط، 2008.
- 8- ريمون رويه، "فلسفة القيم"، ترجمة، عادل العوا، دمشق، مطبعة جامعة دمشق، د-ط، د-س.
- 9- جون ديوي، "أخلاقهم وأخلاقنا، وجهات النظر الماركسية والليبرالية في المثل الأخلاقية"، ترجمة: سمير عبده، دمشق، دار دمشق، 1969 .
- 10- عادل العوا، "العمدة في فلسفة القيم"، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق سوريا، (د-ط)، 1986.
- 11- عادل العوا، "الأخلاق والحضارة"، منشورات جامعة دمشق سوريا، (د-ط)، 1999.
- 12- عادل العوا، "الفلسفة الأخلاقية"، منشورات جامعة دمشق سوريا، 1999.
- 13- أحمد عبد الحليم عطية، "الأخلاق في الفكر العربي المعاصر -دراسة تحليلية للاتجاهات الأخلاقية الحالية في الوطن العربي" دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، (د-ط)، 1998.
- 14- أحمد السيد عزت، "هؤلاء أساتذتي"، منشورات دار الثقافة، دمشق سوريا، 1994.
- 15- بول رزقير، "فلسفة القيم"، ترجمة عادل العوا، عوידات للنشر والطباعة، بيروت لبنان، ط1، 2001 .

- 16- عبد الباسط سيداء، "الوضعية المنطقية والتراث العربي - نموذج فكر زكي نجيب محمود الفلسفي"، تقديم الطيب التيزيني، دار الفارابي، بيروت لبنان، 1990.
- 17- مراد وهبة، "مستقبل الأخلاق"، منشورات دار الثقافة الجديدة، مصر القاهرة، ط1، 1994.
- 18- Max weber. « Le savant et le politique » .trd.de julien Freund. Introduction de Raymond Aron. Librairie .plan. Paris.1959.
- 19- « Economie et société » .librairie. plan. 1971. Max weber
- 20- MOHAMAD AZIZ LAHBABI « de lettre a la personne essai de .personnalisme réaliste » . L harmattan. paris.3 édition.1988
- 21 - Martin Heidegger: « Etre et temps », trad.: François-Vezin, édition .Gallimard . paris, 1986.
- 22 - Martin Heidegger : « Lettre sur l'humanisme », trad.: R Aber, .,Munier , paris, 1964.
- 23- J.P.SARTRE. « L'être et le néant ».PARIS.GALLIMARD.1943.
- 24- L. LAVELLE. « Introduction a l'ontologie ».PARIS.P.U.F.1957.
- 25- L. LAVELLE « traite des valeurs » . PARIS. P.U.F.1951.